جهاد الأفغان .. أُغنِّي

شعر

الدكتور جابر قميحة

الأستاذ بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن

الظهران

يطلب من

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

الجهاد الأفغاني.. أغنى

الإهــــداء

إلى شهيد الإسلام وشهيد الجهاد الأفغانى: الدكتور عبد الله عزام..

أهدى هذه الكلمات محبة وتحية ووفاء...

جابر

تقـــديم

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرفت على القضية الأفغانية أول ما تعرفت عن طريق القراءة أو القراءات العابرة على مدى عدة سنوات فى أواخر السبعينيات. كنت آنذاك فى القاهرة، ولم تكن وسائل الإعلام العربية بعامة، والمصرية بخاصة على مستوى القضية وأبعادها: كان هناك نوع من التعتيم الإعلامى المقصود على هذه القضية بكل أبعادها، وخصوصاً بعدها الجهادى، وإسلامية هذه السمة فى نضال الشعب الأفغانى. وكان الاتجاه السياسى الرسمى العام فى ذلك الوقت يجنح نحو الكتلة الشرقية، وكانت نغمة «الاشتراكية» مازالت تقرع الأسماع، وتلطم المشاعر، وتغالط الواقع والأخلاقيات. ورأينا بعض الصحف تصف جهاد الشعب الأفغانى بأنه محاولة أو محاولات انقلابية، وبعضها وصفه بأنه تمرد ضد الحكومة الشرعية، وظلت صحيفة «مصرية» يسارية متطرفة لا تصف المجاهدين إلا بالمتمردين.

وكانت رؤيتى ومازالت ـ شأن كل الإسلاميين ـ أن ما وصف بالتمرد أو الخروج على «الشرعية» أو محاولة الانقلاب.. الخ إنما هو صورة نقية من من صور الجهاد الإسلامى.

ولا أبالغ إذا قلت أنها أنقى الصور القائمة على الساحة العربية والإسلامية فى وقتنا الحاضر.

فلا عجب أن نسعد بالجهاد الأفغانى سعادة بلا حدود:

ـ لأنه جاء فى وقته المناسب.. أى فى وقت اعتقد فيه أعداء الإسلام ـ بعد هزائم العرب المتكررة أمام إسرائيل ـ أن «الشخصية الإسلامية» المناضلة المثابرة المصابرة لم يعد لها وجود.

ـ ولأنه جهاد صريح خالص لا تشوبه شائبة، ولا يحمل ولاء لحكومة خارجية، أو أيديولوجية غير إسلامية. فهو جهاد يحكمه سمو الغاية التى تتلخص فى تحقيق أمرين هما:

١ـ تحرير أرض أفغانستان، بالكامل من الشيوعية والإلحاد والحكام العملاء الخونة.

٢ـ إقامة دولة إسلامية تحكم بالقرآن والسنة، وتسير على شرعة الله ومنهاجه.

ـ كما أن قيام دولة إسلامية بهذه الصورة يحمل معنى كبيراً جداً، ويبعث إيحاء قوياً بالتحرر للجمهوريات الإسلامية التى التهمتها روسيا فى غفلة من الزمن والعالم وضمتها إلى ما يسمى بالاتحاد السوفيتى.

ـ وقيام مثل هذه الدولة ـ من جانب آخر ـ سيعد ضميمة لها قيمتها، وطاقة قوية تضاف إلى طاقات الدول العربية فى معركتها أو معاركها التى تواجه بها اسرائيل على المدى الطويل، وتواجه بها التحديات السياسية والعقدية على المستوى العالمى.

• • •

كانت هذه هى رؤيتى للقضية الأفغانية من بعيد، ثم شاء الله أن أتقدم خطوة أو خطوات نحوها لأراها عن كثب، وأعايش لفترة بعض الذين يعملون لها ويضحون من أجلها، ففى ١٨ من أكتوبر سنة ١٩٨١ ـ وكنت

آنذاك مدرساً بكلية الألسن بجامعة عين شمس ــ غادرت القاهرة إلى الولايات المتحدة مبعوثاً من وزارة التعليم العالى المصرية أستاذاً زائراً لمدة عام بجامعة يل (Yale) بمدينة نيوهافن بولاية كنكتكت.

وفى أواخر ديسمبر من العام نفسه ــ وعلى مدى أربعة أيام ــ حضرت مؤتمراً بمدينة سبرنج فيلد « Spring Field » بولاية ألينوى للشباب المسلم العربى حضره قرابة خمسة آلاف من الشباب. وكان شعار المؤتمر « الأسوة الحسنة » وحول هذا الشعار دارت أغلب المحاضرات والندوات، وقام الشباب المسلم ــ فى دقة رائعة وانضباط منقطع النظير بكل الأنشطة والأعمال والخدمات التى يتطلبها المؤتمر.. يصدق ذلك على تقديم الطعام بوجباته الثلاث وأعمال النظافة والحراسة والتسجيلات الصوتية والنشرة اليومية المطبوعة والسوق الخيرية.. الخ حتى أشادت الصحف الأمريكية ببراعة هذا التنظيم ودقته، ويومها كتبت فى نشرة المؤتمر ــ التى كانت تصدر يومياً ــ « ... لقد آمنت بإمكانية قيام الدولة الإسلامية المنشودة، لأن ما رأيته من دقة وتعاون ونظام ونشاط وإخلاص فى التدبير والتنفيذ.. يجعل من المؤتمر صورة مصغرة « للدولة الإسلامية التى نتطلع إليها، وتهفو قلوبنا إلى وجودها ... »

وفى هذا المؤتمر العظيم كان أول لقاء لى بالدكتور عبد الله عزام الذى كان واحداً من أعلام المحاضرين والخطباء فى المؤتمر. وفى إحدى الأمسيات شرح عبد الله عزام أمام هذه الألوف المؤلفة من الشباب أبعاد القضية الأفغانية، وسمعت منه كلاماً جديداً جعلنى ازداد إيماناً بمصداقية الجهاد الأفغانى. كان عبد الله عزام يتكلم بنبض إيمانى دفاق باسم الإسلام والجهاد والدم الزاكى بذله أكثر من مليون شهيد. ولكن هذه العاطفة القوية الجياشة كانت مصحوبة بمنطق عقلى علمى متزن وقور.

وفى تضاعيف كلامه حث عبدالله عزام شباب المؤتمر على التبرع للمجاهدين واليتامى والأرامل والجرحى ببعض مالهم، وانضم لصوته صوت قوى آخر يتدفق بلاغة وإيماناً هو صوت الدكتور يوسف القرضاوى.

وفى ربع ساعة كان أمام الرجلين على منصة الخطابة مايزيد على ربع مليون دولار، عدا مفاتيح عشرات من السيارات الفاخرة مصحوبة بتنازلات عن ملكيتها لصالح القضية الأفغانية، وهذا كله عدا «أثقال» من الحلى الذهب تبرعت به السيدات المسلمات اللائى كن يحضرن المؤتمر فى قاعة مستقلة، وقد علمت أن الواحدة منهن كانت تجرد عنقها وأذنيها ويديها من حليها الفاخر وتضعه فى منديل وتقدمه تبرعاً وهى تلهج بقولها «ماعند الله خير وأبقى»

كان عزام مندوباً عن المجاهدين الأفغان فى المؤتمر، ولم أكن أعرف عنه إلا أنه فلسطينى الجنسية، وأنه أحد الأعضاء البارزين المخلصين فى جماعة الإخوان المسلمين، وأنه يعمل أستاذا للشريعة الإسلامية فى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد بباكستان، وأن له صلة قوية وثيقة بقادة المجاهدين الأفغان وخصوصاً «سياف عبدرب الرسول»، وقيل إنه كان همزة الوصل بين المجاهدين الأفغان وبعض الشعوب العربية وأصحاب الاتجاهات الإسلامية الحريصين على مناصرة المجاهدين الأفغان، ونما المجهود المبارك بعد ذلك بفتح مكتب فى مدينة بشاور لإعداد المجاهدين من المتطوعين العرب الذين وفدوا إليه بالمئات، ولتلقى التبرعات، وتنسيق الجهود على كل المستويات.. وكان عبدالله عزام هو القائم على أمر هذا المكتب ورعاية شئونه.

• • •

وكان لقاؤنا الثانى فى الجامعة الإسلامية بإسلام آباد التى أعرت للعمل بها لمدة خمس سنوات (١٩٨٤ ـ ١٩٨٩) وهى الجامعة التى يعمل بها الدكتور عزام، وتعددت لقاءاتى به فى الجامعة حتى كادت تكون لقاءات يومية سريعة.

ثم كانت لقاءاتنا فى منتديات ومحاضرات عامة، وكان ـ رحمه الله ـ حريصاً على حضور الأمسيات الشعرية التى كنا نقيمها فى الجامعة أو مقر اتحاد الطلاب العرب، فقد كان يحب الشعر ويتذوقه ويحفظ كثيراً منه، ويستشهد ببعض الأبيات الشعرية المتوهجة فى مقالاته.

واذكر فى هذا المقام، أنه ـ رضوان الله عليه ـ ما كان يلقانى فى الجامعة ونحن فى طريقنا لأداء محاضراتنا فى الفصول إلا أوقفنى وقال وعلى وجهه ابتسامة عريضة:

ـ «لن أتركك إلا إذا أمليت علىّ بيتاً من شوارد الشعر» ويخرج من جيبه «نوتة» صغيرة، ويسجل فيها ما تسعفنى به الذاكرة، وأذكر أنه التقط بإعجاب قول أبى تمام فى رثاء محمد بن حميد الطوسى:

وما كان إلا السيف لاقى ضريبةً
فكسّرها ثم انثنى فتكسّرا

وقوله فى رثاء إخوة ثلاثة من بنى حميد قتلوا فى معركة واحدة:

لعمرك ما كانوا ثلاثة إخوةٍ ولكنهم كانوا ثلاث قبائلِ

وقول شاعر ـ لا أذكر اسمه ـ فى نفس المعنى:

كان من نفسه الكبيرة فى جَيْـ ـش وإن خِيلَ أنّه إنسان

وذات يوم فى لقائنا العابر بالجامعة قال «أريد بيتاً فى الغربة».. ضحكت وقلت له أكتب المثل المصرى أو العربى المشهور «الغربة كربة» قال مبتسماً: «أعنى غربة الروح». وأحسست أنه شعر بالارتياح العميق حينما كتب بيت ابن الرومى:

أعـاذَكَ أنـسُ المجدِ من كـل وحشـةٍ
فـإنَّـكَ فـى هـذا الأنـامِ غَـريـبُ

• • •

أما آخر اللقاءات فكان بعد صلاة العشاء مساء يوم من أيام فبراير سنة ١٩٨٩. كنت ألقى محاضرة عامة فى قاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة، وموضوعها:

«رائد الجهاد الفلسطينى عز الدين القسام: فى التاريخ والأدب». وأثناء المحاضرة دخل عبدالله عزام ومعه أبوه الذى جاوز الثمانين: شيخ قصير القامة، علاه الشيب، ولكن الحيوية تظهر فى عينيه وقسمات وجهه، وكان معهما العالم العراقى المجاهد الشيخ محمد الصواف. وعلق الشيخان: عزام والصواف على المحاضرة بكلام طيب. وكان تعليق عبدالله عزام كله أو أغلبه غزلاً فى الشهادة ومقام الشهداء، حديث من يمتد بنظره وروحه إلى نيل هذا الشرف العظيم.

هذا والمعروف أن عبدالله عزام ترك العمل بالجامعة سنة ١٩٨٧ ليتفرغ تماماً لمقتضيات الجهاد الأفغانى، وليصبح علماً من أعلام هذا الجهاد، أما الأدوار النبيلة التى قام بأدائها فهى أكثر من أن تحصى وتعد.

• • •

وعدت إلى مصر ـ بصفة نهائية ـ فى يونيو ١٩٨٩، وعلمت بعد عودتى بأسابيع نبأ استشهاده هو وولديه. قلت يرحمه الله لقد حقق الله له أغلى أمنية حرص على تحقيقها طيلة حياته. وانعكست سيرته وعظمته حروفاً مشرقة مضيئة فى قصيدة «الفارس الذى صعد».

• • •

وعوداً على بدء أقول إننى طوال خمس سنوات قضيتها فى إسلام آباد عشت بمشاعرى بطولات من الجهاد الأفغانى لم نشهد لها مثيلاً إلا فى عهد الرعيل الأول من الصحابة الكرام. وكانت مدينة بشاور الباكستانية التى تقع على الحدود الأفغانية هى قاعدة المجاهدين ومقر عبد الله عزام ـ رحمه الله ـ وهى لا تبعد عن إسلام آباد أكثر من مسيرة ساعة ونصف بالسيارة، فكانت تصل إلينا أنباء البطولات قبل نشرها فى الصحف وبثها فى الإذاعات.

• • •

وقد حرصت على أن أسجل ما ذكرته آنفا لأخْلُص بعد ذلك إلى حقيقة أعتز بها وهى أننى أدين بالفضل للجهاد الأفغانى فى نظمى لقصائد هذا الديوان، ولعشرات غيرها تدور فى نفس الفلك وآمل أن ترى النور ذات يوم. نعم أدين بالفضل لهذا الجهاد ببطولاته الفذة، فقد كان هو «المثير»، وكان هو «المصدر الأصيل» الذى استقيت منه نسيج هذه القصائد، بعد أن تركت نظم الشعر لفترة طويلة انشغالاً بعدد من البحوث الجامعية والإسلامية.

وأقرر كذلك فى هذا المقام أن من القصائد التى لم تنشر فى هذا

الديوان مطولة نونية من مائة وستين بيتاً، نظمتها فى يناير ١٩٨٩ بعنوان «اليوم قامت دولة القرآن» ومطلعها :

ارفــعْ لــواءكَ يــا فــتــى الأفــغــانِ
فــالــيــومَ قــامــتْ دولــةُ الــقــرآنِ

نظمتها وتهيأت لنشرها مطبوعة ومسجلة بصوتى احتفالاً بسقوط كابل باقتحام المجاهدين لها، وإعلان قيام الدولة الإسلامية، وكان الأمل معقوداً على أن ذلك سيتم بعد شهر أو بعض شهر بعد أن ضيق المجاهدون الخناق على كابل وجلال آباد. ولكن الأمل لم يتحقق وعسى أن يتحقق قريباً إن شاء الله.

ومن القصائد ــ التى لم يضمها الديوان ــ ملحمة من خمسين صفحة بعنوان (الفارس الذى غاب) نظمتها بمناسبة استشهاد ضياء الحق رحمه الله، وكان صاحب أياد بيضاء على الجهاد الأفغانى.

• • •

وأخيراً أنبه إلى أن قصائد هذا الديوان كلها نظمتها أثناء إقامتى فى باكستان ماعدا قصيدتين :

الأولى : قصيدة «الفارس الذى صعد» : فقد نظمتها وأنا فى القاهرة بعد عودتى النهائية إليها، وبعد استشهاد عبد الله عزام ــ رحمه الله.

والثانية : قصيدة «نداء عاجل إلى قادة الجهاد الأفغانى» فقد نظمتها فى مدينة «الظهران» بالمملكة العربية السعودية فى أكتوبر ١٩٩١.

• • •

ولا أدعى أن هذه القصائد تتفوق على قصائد نظمها فى الجهاد الأفغانى من هم أشعر منى من الشعراء الإسلاميين. بيد أنى حاولت فى هذه القصائد المتواضعة أن أكون صادقاً مع نفسى، ومع المواقف والأحداث والشخصيات التى عالجتها هذه القصائد، بعيداً عن «التزويق» والتحليق الرومانسى الشارد. ومن ثم لم أحاول أن أنقح واحدة منها لتكون أخصب خيالاً وأنضج فنا ــ بل تركتها كما نظمتها بنت العفوية والتلقائية.

وقد تقترب هذه العفوية أحياناً من أسلوب الحديث العادى، أو ما يسمى «بالأسلوب الدارج» كما ترى فى قصيدة «رحيل من غير وداع» وقصيدة «الموت ولا العار». وأنا أدرك ذلك تماماً، وكان من السهل ــ بعد مضى قرابة خمس سنين على نظمها ــ أن أعمل فيها قلمى صقلاً وتهذيباً. ولكنى آثرت ــ كما قلت ــ أن أنقل إلى القارىء ما نظمت بأمانة كما هو.. لأن ذلك أقرب إلى صدق المعالجة فى آنها من جانب. ومن جانب آخر لأن هذه القصائد ــ بهذا المستوى ــ تمثل مرحلة فنية مرّ بها صاحب هذا القلم المتواضع، لم أرد أن أزينها «بمساحيق تجميل لاحقة» إن صح هذا التعبير.

وصفوة ما يقال فى هذا المقام أن قلبى أملى على قلمى فانطلق مسجلاً ما يملى عليه دون تدخل من «عقلى الواعى» أو «صنعتى الفنية».

والحمد لله رب العالمين ،،،،

دكتور جابر قميحة

الظهران ١٤ من جمادى الأولى ١٤١٢
٢٠ من نوفمبر ١٩٩١

لِجهادِ الأَفْغَانِ أُغَنِّى

لجهادِ الأفغانِ أغنِّى
للشعب الزاحف
كيما يُطْلِعَ فجرَ الحقّ
أغنّى ..

• • •

وللمليونينِ مِن الشهداءْ
زرعُوا الأرضَ عظاماً
ونُخاعاً
وعُيُوناً
وسَقَوْها
عَرَقاً .. ودماءْ
أمْضى .. وأغنّى

• • •

لكتائب حولَ جلالِ أبادِ
أو كابلْ
تنقضُّ كبركانٍ عاتٍ

أشدُو وأغنّى

● ● ●

لفيالق ... خاصَمَتِ النومْ
لتزْحَف فى إصرارِ نارِى
تصدح قيثارِى ..
وتُغَنِّى ..

● ● ●

للطفْلِ الجائِع
عندَ حدودِ بَشاوِرَ
يبكى بالدمع الموجوعْ
من ألمِ الجوعْ
لكنْ لم يهْزِمْهُ الجوعْ
بلْ يحيا أملَ النصرِ
.... أغنّى

● ● ●

للشعبِ الصَّخْرِىِّ
سليلِ القاسِمِ ...
إبْن محمدٍ المنتصرِ..

أغنّى ..

• • •

لا تسألني ..
أنْ أجعلَ من قَلمى وَتَرًا
فى قيثارٍ ..
يعزفُ لحنَ رثاءٍ باكٍ
لأميرٍ من نسْلِ الشمْسْ
قتلَ الأملَ
وأحيا اليأسْ
بَذَرَ البؤسَ
وزَرَعَ النحْسْ

• • •

أنا لنْ أعزفَ
سمْفُونيةَ رقْصٍ عارِمْ
فى فرحِ الوثنِ البشرىِّ
حيث تدورُ كئوسُ نفاقٍ
وتقاسيمْ
ومراسيمْ
وتبادلِ صفقاتٍ كبرى

فتُباعُ شعوبٌ مطحونَة
وبقايا أممٍ مسكينَة
بكليماتٍ ..
ولقيْماتٍ ..
ومواعيدٍ ..
ومواجيدٍ ..
ولقاءاتٍ ..
وعناقاتٍ ..
وهتافاتٍ ..
لسماسـرةٍ ..
وقياصـرةٍ ..
باسمِ دعاوَى السِّلْم الزَّائِف
بين نيوب الذئب الكاسـرْ
واستسلام الحَمَلِ الخائفْ

• • •

إن الكلمةَ عِرْضُ الشاعرْ
إن الكلمةَ عِرضُ الشاعرْ
فإذا مالَتْ ...
نحوَ الدركِ الأدنى السافِلْ

فى مُستنقَع مدحٍ داعِرْ...
لنفاقِ السلطانِ الجائرْ
كانت لعْنَهْ
تطردُ صاحبَها مَذْمُوماً
من فردوسِ اللهِ الأعظمْ
منكوساً ..
موكوسَ الجاهْ
يتمنّى الموتْ
ولا يلقاهْ ..

• • •

وأنا عشْتُ لقلمى شاعرْ
عشتُ لقلمى ..
ليسَ بقلمى
عشت عزيزَ النفسِ أبيًّا
عاتى الضّرَمِ
حتى فى ظلمات الألَمِ
عشتُ أنيسى صوتُ اللهْ
من عزّتِهِ أجنى الجاهْ
وبإحساسى وبأعماقى

كنتُ أراهْ
فأناديهِ
وأناجيهِ
وأسيرُ بركبِ حَوارِيِّهِ
وأعطِّر جبهتِيَ الحُرّه
بركوعٍ .. وسجودٍ خاشعْ
في محراب جلالِ اللهْ
وفيوضٍ من نورٍ ساطعْ ..
ملأ الأرضَ ..
وملأ سمَاهْ .

• • •

فلْتمدحْني
أو تلْعنّي
أو حتى تتبرأ مِنّي
لستُ أبالي ...
فأنا قَدْ عاهَدْتُ ضميري
وأذانَ البيتِ المعمورِ
وغصونَ الشجَرِ الزيتونِ
ودموعَ الشعبِ المطحونِ

سأظلّ بروحي وبفني
لجهادِ الأفغانِ أغنّي

• • •

كَلِماتِي ستكونُ سلاحا
كالسيفِ البتّار القاصِمْ
وتفيضُ سعيراً
لا يُبقي أثراً
للملحدِ والظالمْ
وتكونُ ضياءً وعبيرًا
يبعثُ في الشعبِ الأفغانيِ
صبرًا . . .
وفداءً . . .
وعزائمْ .
فلَهُ قلمي
وله فنّي
وسأبقَى ليلِي ونهارِي
لجهادِ الأفغانِ أغنّي

إسلام آباد
يناير ١٩٨٦

نشيد الزحف الأفغانى

إلى كابلٍ يا جنودَ الرسولْ
وخلوا السيوفَ تصولُ تجولْ
إلى كابل يا جنود الرسول
وخلوا السيوف تصول تجول

● ● ●

إلى كابلٍ كى تفكوا الحديدْ
عن الشعب هذا الابى العنيدْ
ويسحقَ ليلَ الأسى والعبيدْ
ويشرق نور الكتاب المجيد
فتزهر كل الربى والحقولْ
إلى كابلٍ يا جنودَ الرسولْ

● ● ●

اخى استُشْهِدَ الأمسَ فى قندهارْ
وكان أخى وأبى والنهارْ
فمات ليُطلعَ شمسَ الفخارْ
ويسقى الكيرِملن ذلا ونارْ

قضَى راضىَ القلبِ وهْوَ يقولْ
إلى كابل يا جنود الرسول

• • •

فما كان مثلى ليستسلما
وما هنتُ يوماً انا المسلما
سَلُوا الموتَ عنّى ان حَوَّما
وليلَ الملاحِم والظالما
أنا الحشدُ والجندُ حينَ أصُولْ
إلى كابل يا جنود الرسول

• • •

إلى كابل فالتلالُ هناكْ
تريدُ لقاكَ وتهوى هواكْ
لتسْقِيَ موسكو كئوسَ الهلاكْ
فليس لها من مُغيثٍ سواكْ
ومن كابل زحْفُنا للخليلْ
إلى كابل يا جنودَ الرسولْ

إسلام آباد
يونيو ١٩٨٦

نشيد يومِ الدم

تـقـدَّمُـوا.. تـقـدمـوا فـالـيـومُ يـومُـك يـا دمُ
ولـن يـكـونَ مُـسـلما مـنْ ينحنى أو يحُجِمُ

• • •

يـا مَنْ غصبْتُم أرضَنا بـأرضِـنـا لَنْ تَـنْـعَموا
هـى قـبـرُكـمْ.. وإنّها عـلـيـكُـمُ.. جَهـنَّمَ

• • •

تـقـدمـوا.. تـقـدمـوا فـالـيـوم يـومـك يـا دم
ولـن يـكـون مـسـلما مـن يـنـحنى أو يحجم

• • •

عَـمِّـز سلاحَـك لاتَهُنْ لايـعـرفُ الدينُ الوهنْ
فـديـنُـنُـا ديـنُ الـجِـها دِ لـلإلـهِ والـوطـنْ

• • •

تـقـدمـوا.. تـقـدمـوا فـالـيـوم يـومـك يـا دم
ولـن يـكـون مـسـلما مـن يـنـحنى أو يحجم

• • •

مــاذَلَّ قــومٌ جـاهــدوا وسـيـفُـهُـمْ لا يُـغْـمـدُ
حـيـاتُـهـم ساحُ الوغَى ومـصـحـفٌ ومـسجـدُ

• • •

تـقـدمـوا .. تـقـدمـوا فـالـيـومُ يـومُـك يـا دمُ
ولـن يـكـونَ مُـسـلـا من ينحنى أو يَحَجمُ

• • •

إن تـنـصـرُوه ننـتـصَرْ مـهـا عـدُوُّنـا كَـثُـرْ
إمـامُـنـا قـرآنُـنَـا وأحـمـدُ خـيـرُ الـبشر

• • •

تـقـدمـوا .: تـقـدمـوا فـالـيـوم يـومـك يـا دم
ولـن يـكـون مـسـلـا مـن ينحنى أو يحجم

إسلام آباد
أغسطس ١٩٨٦

نشيد ريح الجنة

هبّى ريحَ الجنّةِ هبّى　　هبى ريح الجنة هبى
واشوقاهُ لِلُقْيا ربّى　　ورسولِ اللهِ وللصَّحْبِ

• • •

هبى ريح الجنة.. هبى　　هبى ريح الجنة هبى

• • •

إنّا قُمْنا لَهَباً عاصِفْ..　　ضدَّ الكفرِ وضدَّ الغَصْبِ
وسلاحى مدفعِىَ القاصفْ　　ويقينِى نورٌ فى قلبى

• • •

هبى ريح الجنة.. هبى　　هبى ريح الجنة هبى

• • •

إنْ جَنَّ الليلُ فَرهبانُ　　نسجدُ للهِ على قُرْبِ
أما فى الصبحِ فَفُرسانُ　　للضربِ ونيرانِ الحرْبِ

• • •

هبى ريح الجنة.. هبى　　هبى ريح الجنة هبى

• • •

بـالحـقّ سنهـزمُ أعـدانـا ... ونُـذيـقُـهُمُ طعْمَ الـرُّعْبِ
ونحـقـقُ نـصـرا.. رنّـانَـا ... فـى الشرقِ صداهُ وفى الغربِ

• • •

هبّى ريح الجنة.. هبى ... هـبـى ريـح الجـنـة هـبى

• • •

أو نَـلـقـى اللـهَ شـهـداءَ ... يـاما أعظَمَهُ من كسْبِ
أن نحـيـا سـعـدًا وهـنـاءً ... بـنـعـيـمٍ نـشـوانٍ عـذْبِ

• • •

هبى ريح الجنة.. هبى ... هـبـى ريـح الجـنـة هـبى
هبى ريح الجنة.. هبى ... هـبـى ريـح الجـنـة هـبى

إسلام آباد
أغسطس ١٩٨٦

أبطال الجهاد الأفغانى

لا تـذْكُـرنَّ فـيالقاً من تَغْلب
وفَـوارِسـاً مـنْ عـبْسٍ أو ذبيانِ

دعْ عـنـكَ هُـومـيراً وَدَعْ طروادةً
وخـوارق الـيـونـان والـرومان (١)

وانظرْ، سَيُنْسيك الملاحِمَ كلَّها
أسطورةٌ تـدعـى الفـتـى الأفـغـانـى

صنعَ البطولة ـ والبطولة همّه
بـعـزيـمـةٍ عُـمَـريـة الايـقـان

• • •

اللـهُ أكـبـرُ!! إنـنـى أحـياهُـمُ
فى زحْفِهِمْ بالقلب والوجدان

بُعثوا من الماضى التليد شوامخاً
ومَـحَـوْا حُـدودَ الأرضِ والأزمـانِ

---

(١) هو مير: شاعر اليونان الشهير وناظم أعظم وأشهر ملحمتين فى التاريخ وهما: الالياذة والأوديسة.

دَغْنى أملّى ناظرى من مُصْعب

وأعيشَ مَعْنى الحق فى سَلمان [٢]

وكذا علىّ والحسينِ وجعفر

وتهيم روحى فى سَنَا عُثمان

وأقول مرحى حمزةٌ وأسامةٌ

مَعَهُ المثنّى الفارسُ الشيبانى

وترفرفُ الراياتُ فوق قتيبةٍ

ومحمد بن القاسم المروانى [٣]

بطلِ الفتوح بآرْمثيل وذَيبلٍ

والسِّندِ والبيرونِ والمُلتان [٤]

هذا هو الماضى الجليل بمجدِهِ

يحييه إصرارُ الفتى الأفغانى

• • •

عاشُوا النهار فوارساً مرهوبةً

وهُمُ بجوفِ الليل كالرهبان

---

(٢) سلمان: هو سلمان الفارسى.

(٣) محمد بن القاسم بن محمد فاتح الهند الشهير.

(٤) أسماء مناطق وبلاد فتحها محمد بن القاسم بعضها حالياً يتبع باكستان وبعضها يتبع الهند وبعضها يتبع أفغانستان.

عـزمٌ حـديـدٌ فـى لقاء عدوهمْ
تهتز مـنـه جـوانـبُ المـيـدان
أمـا محـاريـبُ الـتُّـقَى فلاذهـمْ
ودمـوعُـهـم فيـهـا كما الهـتان (٥)
تخذوا الكهوف معاقلاً ومرابضاً
ومن الـسُّفوح الداميات مغانى
يـتـكـلـمـون بمـدفَع .. وقذيفةٍ
وكـأنهـم وُلـدوا بـغير لـسـان
ومـن الـسـكـوت بلاغـةٌ عُلويةٌ
تـتجاوزُ الآمادَ من سحبان (٦)
حتى إذا صاح الأمير «تقدموا»
سـبـقـتْ قلوبهُم إلى النيران
كـانُوا هنا، صاروا هناك، تقحَّموا
وتـمـكـنـوا وتحـقـق الـنصران :
نصرٌ لـديـن الله فـهْـوَ ربـيـعـهم
ولأنَّ قـهـرَ الـنـفـسِ نصرٌ ثـان

• • •

---

(٥) الهتان : المطر الشديد .

(٦) سحبان بن وائل : خطيب أموى من أشهر خطباء العرب وأفقههم .

كـمْ مـن لـيال كـرَّ فيها بردها
بجليـدهِ الـعـاتى كما الطُّوفان

سدَّ المناقَذ واستباحَ جلُودَكمْ
فصبرتُم صبرَ القوىِّ المانى (٧)
لِمْ لا، وصوت الله فى أعماقكمْ
وأنـيـسـكـم دفء مـن الإيمـان

فـهـزمتم الـبـردَ الغشومَ وثلجَهُ
ما الثلجُ إذْ ما قيس بالبركان؟
وكذاك روسيا الكفرِ ولّتْ بعْلمًا
سقطت فيالقُها منَ الخُسران
وضربتُم منهمْ رؤوساً أينعتْ
وطـفـقـتـمُ مَسْحاً لكلِّ بَنانِ
فـأعـدتـمُ أيـامَ بـدرٍ حـيـة
فـى عـزة يـومَ التقى الجمْعان

وهوت رؤوس الكفـر وهى ذليلةٌ
وعـلـتْ عـليهـا رايـة الـقـرآن

• • •

(٧) المانى: السعيد الذى لا تنال منه ولا تحزنه المصاعب والكوارث.

يا أمة الأفغان نصرك ـوافخرى ـ
مـا كـان لـولا قـوةُ الإيمـان
تلك التى جعلت شيوخاً قاربوا
مـائـة من السنوات كالشبّان
يـتـقـدمـون طـلائـعا وكـتائباً
لا يـرهـبـونَ قـذائـفَ الـنـيـران
ويـرطـبـونَ شـفـاههم وقلوبهم
بـالـفـتـح والانـفـال والـرحمن
وهتفاهم «هبى رياح محمد»
فـعـادنـا فـى جـنـة الـرضـوان
هذا هو الســر الذى لا ينقضى
فــى حكمـةٍ عُـلـوْيـة الأردان
«القوة العظمى بشعب مؤمنٍ
والـنصرُ بـالايمـان لا الـطـيران»

إسلام آباد
يونيو ١٩٨٧

تحقيق صحفى
مع مجاهد أفغانى جاوز السبعين

يا أحبابى ...
إنى صحفىٌّ عربى
لا أملكُ إلا أوراقى
والقلمَ المستوردَ والكاميرا
... صحفىٌّ يحيا عصرَ الغربهْ
استدعانى فى الليلِ رئيسُ التحريرِ
وصاحبُ لقمةِ عيشى
اسمعْ ...
تتنكرُ فى زىِّ أفغانى ...
حتى لا تُكشَفَ فى أرضِ الأفغان
وعندَ بشاور
يصحبُك اثنانْ
ستقادُ إلى جهةٍ ما ...
التفصيلاتُ اتفقَ عليها
لا تسألْ
كلُّ المطلوبِ كتابةُ تقريرٍ بالتفصيلْ ...

تغطيةُ الحرب وما تشهدْ
بالقلم و بالتصويرْ.
اسمعْ . . .
جرنا لى ينتظر السبْق الصحفيًا
وتذكرْ أمرين :
الأمرَ الأول : تتنكرْ
والأمر الثانى : الصمتُ التامُّ . .
فلا تتكلمْ »

(٢)

وضحكتُ لنفسى
فى نفسى
فأنا أعلم أن العاقلَ فى مفهومِ العصر
ــ أعنى عصْرِى . . .
عصرَ الغربة ــ
من يسكنُ تابوتَ الصمْتِ
فلا يتكلمْ
لكن يملكُ ــ دون ضجيج ــ
أنْ يتألمْ
أتنكر؟؟ !!

إنى أعلمُ أيضاً ـ ياصاحبَ لقمةِ عيشى ـ.
فى عصرى .. عصرِ الغربة ..
من لا يتنكرُ...
لا يتمكنُ ... لا يتأمرْ
بل قد يفقدُ لقمةَ عيشِهْ
فالوجهُ الواحدُ
ما عاد يوافق «تكنولوچيا» العصْرْ.
والوجهُ الواحدُ ...
لا ينتجُ فى عصرِى هذا غيرَ الخُسْرْ

(٣)

ومع الرجلين مَضَيْت
وقطعتُ دروباً صمّاءَ
واجتزتُ وهادًا عمْياءَ
والليلُ كقلبِ الكافِرِ
أو أذْرعة الجِنّةِ
تحتضنُ جبالا سوداءَ
والصمتُ كساحةِ قبرِ
لا تسمعُ فيها إلا نبضاً يتثّاءبْ
أو وقعَ الأنفاسِ المتلاحقِة الحيرى

لكنى . . .

ــ والحقَّ أقولْ ــ

كدت أطيرْ

وكأنى فى خفةِ شاب فى العشرينْ

فأخيرًا . . .

أنا أولُ صحفىٍّ عربىٍّ

فى أرضِ المجْدْ .

(٤)

وشهدْتْ . . .

أخرجتُ الكاميرا

وأدرتُ الكاميرا

يا للهْ . . . !!

خانتنى الكاميرا . .

يا لله . . . !!

عجزَتْ عدساتُ الكاميرا

أن تلتقطَ المشْهَدْ

فالمشهدُ لا يرصدُهُ ويسجلهُ إلا إنسانْ

أوتِىَ نبضَ الإنسانْ

وصفاء مَشاعرِ أنقى من قطراتِ الأنداء

والعظمة كانت ـــ إذْ أشهدُها ـ
أوسعَ آمادا
من طاقةِ هذى الكاميرا العمّاء

• • •

والفجر... وليال عشْرْ
أنا لم أشهدْ إلا قوماً سحقوا الصخْرْ
بإرادتِهم .. وبروح اللهْ
أمروا الأمْرَ فكان الأمْرْ
عقدوا العزْمَ
على أن يُولدَ فى الأفغانِ الفجْرْ
لا تسألْ عنهم فنَّ الشعرِ وسحرَ القولْ
بل سلْ عنهم صفحاتِ الليلِ
وطوفانَ الويْلِ
يُصبُّ لهيباً أحمرْ...
فوق المنجلِ والمطرقةِ المأفونةِ
والنجمِ الأحمرْ..
كى تسقُطَ رايةُ كفرٍ حمقاءُ
وتعلوَ رايةُ حقٍّ شمّاءُ
« يا منصورُ أمِتْ

يا منصورْ

يا أحمدُ مسعودُ هنالكَ فى جبلِ النارْ

يا منصورُ أمِتْ

لا ترجعْ

واصل زحفك يا منصور

فأنتَ الأغلى

يا سيافْ

يا ربّانى

يا يونسُ خالصْ

يا حكمتْ يارْ

يا جندَ الرحمن هنالك

فى جبلِ النارْ

صبُّوا صبُّوا حمَم النارْ

لتتزلزلَ أركانَ الظالمْ

وتمزقَ أحلامَ الغاشمْ »

● ● ●

(٥)

ويهبُّ الحكامُ بموسكو

مذهولين سُكارى ..

والفجر..

وليال عشر

ما كانوا أبدا بسكارى

لكنَّ عذاب الله شديدْ

وهديرَ الحقِّ لظى وحديدْ

وصمودَ الأفغانى عنيدْ

والهولُ الأكبرُ يزأرُ فى أرضِ الأفغانْ

تتساءلُ موسكو البلهاءْ

ـــ ما هذا ؟

فتجيب عصابات العملاءْ

« تمردُ صبيةْ ...

زوبعةٌ قامتْ فى فنجانْ »

لكنَّ الحقَّ يقولْ :

« هى معجزةٌ وُلدتْ فى أرض الأفغانْ

فهناك كتائبُ خرساءْ

منطقُها المدفعُ والنارْ

رايتهمْ مثلُ « عُقاب » رسول الله

عاليةً بالحق وشمّاءْ

قد خُطَّ عليها

بمداد من نورٍ وعنادْ :

وأعدُّوا . . .
فالغايةُ ربى
ومحمدُ هدْيى
دستُورى كلماتُ اللهْ
وسبيلى . .
أن أقْتُلَ حتى أُقتلَ أوْ انتصرا
والموتُ شهيدًا أسمى أملٍ أتمناهُ » .

(٦)

كانت هذى أنشودةَ فجرٍ أسْمَعُها
بل أشهدُها
بل ــ صدّقنى ــ أحياها
نبضًا . . أنفاسًا . . . حسًّا . . .
ألماً . . عصَبًا
أحياها
وتسيلُ الأنشودةُ فى جوفِ الليل
سعيراً منغوماً :
المعزفُ مدفعْ . .
واللحنُ هزيمٌ لا يُدفعْ
والعازفُ أفغانىٌّ مُسلمْ

شابٌّ في سنِّ العشرين يقاتلْ
طفلٌ ما شبَّ عن الطوقِ يقاتلْ
شيخٌ جاوزَ سنَّ السبعين يقاتل

(٧)

يا للشيخ العاكِفِ في خندقِه
فوقَ المدفعْ
ويرطّبُ شفتيهِ بآياتٍ من ذكرِ اللهْ
تتلمظُ عيناه
ينتظرَ الصيدَ
كتيبةَ روسٍ أو عملاءْ
أنهكها الإلحادُ
وأثقلها جبنُ الجبناءْ
حتى أصلَ إلى الشيخ المتوثّبْ
ألتقطُ الأنفاسْ
أخرجَ قلمي والقرطاسْ
أسألهُ ملهوفاً :
« من أنت ؟
ما أنت ؟
وكيفَ ؟

وأنّى ؟

و.. و... »

وتجفُّ بحلقِي الكلماتُ

« الحقَّ.. الحقَّ أقول :

إنى مسلمْ

إنى سيفٌ لا يعرفُ معنى الخوْفْ

إنى ثورةُ حقٍّ

فى وجهِ الكفْر

ووجهِ الزيفْ

(٨)

إنّى رفضٌ..

إنّى « لا »

خرجتْ فى ظلمةِ ليلٍ خائنْ

تحملُ جبلَ الألمِ الكامنِ فى الأعماقْ

تلقيه بوجهِ العدوانِ الإلحادىِّ الغاشمْ

(٩)

إنى رفضٌ...

إنى « لا »

قالتْها بالحقِّ « حماة »

قالتها بالحقّ فعاشتْ
كلَّ فصول المأساةْ
ــ واحترقت
بنت الإسلام « حماةْ »
وجباهُ رجالٍ
ما سجدتْ إلا للهْ
وشفاه كم رّطبها ذكر اللهْ
واإسلاماه !!
وعلى دربهمُ . . .
قمْنا نحمى الأطفالَ المفجوعين الرضَّعْ
ولكى تبقى أنداء الفجرِ
على الشجرِ الأخضرْ
ونعيشَ ليوسفَ والانفالِ وللكوثرْ

(١٠)

إنى نبض الجوع القاتِلِ
فى أحشاء رضيع مجْرمْ . .
إى والله
قالوا « مجرمْ »
يتحمل وزرَ البشريّةْ

فأبوه فلسطينيٌّ نازحْ
فى « شاتيلا »
والأمُّ ـ لسوءِ الحظِّ ـ
فلسطينيةْ
عفواً يا ولدى
إذْ ذابتْ فوق شفاكَ الطِفْليّةْ
صرخاتُ الجوعِ الملتاعَةْ
يا أمّاه :
أعْطيه حلْمَةَ ثدْيكِ
حتى لو جفّتْ منهُ القيعانْ
أعطيهِ ..
لعلَ الثدىَ يجودُ بنقطةِ لبنٍ مقهورةْ
هربتْ فى أعماقِ الصدْرِ
بساعاتِ الكرْبِ المذعورةْ
يا أماه ...
ضميهِ إليكِ
بالله
ضميه إليكْ
أعطيه الحلمةَ يا أماهْ
واعتصرى

اعتصرى
من يدرى يا أماه ؟
فلسانُ الطفل يدورُ
يدورْ
كالباحثِ عن قدرِ مقدورْ
وأخيراً
يُطبق فكَّيْنِ
كحدَّى سيف صدِيء مثلومْ
يمتصُّ ويمتصُّ .. ويمتصْ
عفوا يا ولدى ..
عفوا يا ولدى ..
صماءٌ ــ يا ألطافَ اللهْ ــ
متحطبة ...
متحجرةٌ تلك الحلمهْ
عمياءٌ ..
واكرباهْ ..
لكن ــ حمدا لله ــ
جادت هذى الحلمه
أعطتْ جَرعةَ لبنٍ ملأتْ فاه
يا للهْ

ما كانتْ جرعةَ لبنٍ
بل كانتْ دفقةَ دَمْ
وسمعنا أنهُمُ قدْ دفنوهْ
فى قبرٍ
ضمَّ رفاتَ الشَّرفِ العربى
واقدساهْ

(١١)

أنا صرخةُ هذا الطفلِ
تموجُ بنبضِ الجوعِ المفجوعِ
وذووهُ ثمالةُ أشباحٍ ذابلةٍ
قد شاء لهمْ جيشُ الخصيانْ
أن يحصرهم
فى خيمة ذلٍّ منتهَكَهْ
فى لبنانِ ..
فى شاتيلا ..
حرموهُمْ حتى كسرةَ خبزٍ
غُمِسَتْ فى ذُلِّ الطينْ
حتى لو كانتْ منْ غسلينْ
حرموهم جُرعةَ ماءٍ يرجوها محتَضَرٌ

فى لحظةِ غرغرةِ
تسبحُ فى سَكَرَاتِ الموْتْ
يا أماه
ماتَ الزرعُ
وجفَّ الضرعُ
وفاض الدمعُ
ولا يوسفْ
وبطولةُ جيشِ الخصيانْ
هبت تحصدهمْ
وتحاصرُ من أفلتَ منهم
ــ من طاحونِ الموتْ ــ
فى خيمةِ ذلٍّ منتهكَهْ
واولداه . . .
واأماه . .
واقدساه

(١٢)

تسألنى : من أنتَ ؟
أقولُ :
« إنِّى . . .

لكنْ .. أرهف سمعَكْ
وافتح قلبَكْ
إنى أسمعْ ...
تسمعُ مثلى ؟؟
وقْعَ سنابِكْ
هدْرَ صواعِقْ
صوتاً يَدْوى فى الآفاقْ:
« واإسلاماهْ ..
واإسلاماهْ ..
قد زحفتْ خيلُ ابن القاسم !!
أنَا أشهدها
بل أحياها
وسيمضى سيفُ ابن القاسمْ
وستركبُ خيلُ ابنِ القاسمْ
وأنا جنديٌّ تحتَ لوائِهْ
ومضائى من هذى مضائِهِ
وبه سيفيضُ الوطنُ الحرُّ ضياء
ونعانق نصرًا وشروقًا
قلْ جاء الحق
وزهقَ الباطلْ

إن الباطلَ كان زهوقاً »

إسلام آباد

سبتمبر ١٩٨٧

(*) نظمت هذه القصيدة فى وقت كانت فيه إحدى الجماعات القتالية اللبنانية تحاصر الفلسطينين فى شاتيلا وتمنعهم الماء والطعام حتى مات كثير من الأطفال والشيوخ وأكل بعضهم لحوم الموتى.

الموت ولا العار

عاش مجاهداً يقاتل أعداء وطنه ودينه فى وهاد أفغانستان وجبالها . وعاد من جبهة القتال فى إجازة قصيرة لزيارة زوجته الحامل ، فتشبثت به ، وألحت عليه أن يبقى بجانبها ، ويترك القتال من أجل وليده المرتقب ، وطال الحوار بينه وبين زوجته . وودعها ، وعاد إلى ساحة الجهاد إلى أن لقى ربه شهيداً .

(١)

تقولُ ــ وقد شفَّها وجْدُها . .
وفى مقلتيها يهيمُ الأسى
ــ أبوكَ مضى
وأخوكَ قضى
وأكبرُ أبنائنا فى الجراحْ
قعيدُ الجراحْ
وأنت ــ مُصِرًّا ــ تريدُ الذهابْ
حملتَ السلاحْ
وخُضْتَ الكفاحْ
شهورا عديدهْ
فيجزؤُكَ اليومَ ما قد مضى
وهذا جنينٌ ببطنى دفينْ
غدا يشهد الفجرُ « وَاآيَهِ »
ويبصر للآخرين أباً

ويسأل فى لوعةٍ باكيةْ :
أليسَ لنا مْثلُهم من أب ؟
كفاكَ كفاحْ
كفانا جراحْ
بغيرِكَ لن نستطيعَ الحياةْ
فأنتَ المنى .. والهوى .. والحياةْ

(٢)

ـــ شريكةَ دربى
أثيرةَ قلبى
ذَريتى أقاتلْ
فما مزَّقَ الظلمَ إلا مقاتلْ
وما حقَّقَ النصر إلا مناضلْ
وإلا فإنى أموتُ انتظارا
وعهدى مع اللهِ لا ينقضِى
بأن أجعلَ الصخْرَ فى الأرضِ نارا
وأقلبَ ليلَ المآسى نهارا
فإما أموتُ بأرضى شهيدًا
وإما أحققُ فيها انتصارا
أقولُ فذا مدفعى هاتِه

أحققُ للمجْدِ غاياتِه

وأرفعُ للحّق راياتِهِ

وأدركُ للدينِ ثاراتِهِ

وأتلُو مع النصرِ آياتِهِ

(٣)

لا تقولى لى جنينى

فالذئابُ اللاعقاتُ الدمّ

تجتاحُ الروابِى .

والأفاعى

تزرع السمَّ بأرضِى

وترابى . .

وكلابُ الروسِ

والغةُ بميراثِ محمد

وتقولين جنينى ؟!!

● ● ●

وانظرى لبلَ اليتامى

يملأون الأرضَ

بالصرخاتِ

فى فزعِ أليمْ

«أين راحَ المعتصمْ ؟!!
أينَ سيفُ المعتصمْ ؟!»

• • •

والثكالى . . .
إنهُنَّهْ
فى غيابات الأسَى
أسمعُهُنَّهْ
يحملُ الفجرُ المُعَنَّى
صوتَهُنَّهْ . .
دامياتِ النبْر
من وقع الأسِنَّهْ
فاتركينى أحهنه
ـ أنتِ أيضاً أختُهنّه ـ
ولْيكنْ صدرى لهُنَّ اليومَ جُنَّة
لأردَّ العارعن أعراضهن
فوقَ خيلٍ مُورياتِ القدْحِ
شماءِ الأعِنَّهْ

• • •

لا تقولِي لِى جَنينى . .

واتركيني ..

إن من يخدشُ ديني

ويقيني ..

مثلُ من يسحقُ قلبي

مثلُ من يقطعُ

بالسيفِ وَتيني .

عندها ...

ليسَ إلا المدفعُ الهّدارُ

يزهو غضبا

ليس إلا أن أدُكَّ الغاصبا

ليس إلا أن تموجَ الأرضُ

من فيضِ المنايا

وأروِّيها دمايا

(٥)

وكما يكرَهُ

أن يلقَى الحبيبُ الصادقُ الحبَّ

على الغدْرِ حبيبه

آثمَ القلبِ ...

وقد جلَّل بالعارِ جبينَهْ

إننى أخجلُ ..
أنْ ألقى ــ معى عارى ــ محمدْ
ناكسَ الرأسِ بيومِ البعْثِ
خزيانَ الجبينْ
يومَ تبيضُّ من البشرى وجُوهْ
يومَ تسوّدُ من الخِزْى وجوه
كيف ألقاه بعارى ؟
قبل أن أدُركَ ثَارى ؟
قبلَ أنْ أجتاحَ أعدائِى بنارِى ؟

(٦)

يا عذابى حين ألقاه
فيسأل :
« أين كنتمْ
يوم هُنتمْ ؟
يوم ضِعتُمْ وأضعْتُم ؟
كيفَ أضحى مجدُ هذا الدينِ
ميراثا مُبَدَّدْ ؟
أين كنتمْ يومَ ضاعَ القدسُ
والمحرابُ

والعزُّ المشيّدْ ؟
أين ما صُنَّاهُ فى بدرِ
وفى خيبرَ
واليرموك
بالفتح الممجَّدْ ؟
أين سيفُ ابنى صلاحِ الدينِ
فى حطينْ ؟
أين جيشُ المؤمنين الراكعين الساجدينْ ؟
أين نصر خطه قُطزٌ
بجالوتِ البطولةْ ؟
أين روحُ المسلمِ الحقّ
وآياتُ الرجولةْ ؟
« وأعدّوا » أينَ ولّتْ ؟
« قاتلوهمْ » أينَ فرّتْ ؟
« واقتلوهمْ » أينَ قرّتْ ؟
أين فى قاموسِكمْ صوتُ « براءةْ » ؟
والإباء الحقُّ أذهبتمْ مضاءةَ .
وهجرتمْ شرعةَ الحقّ فُهنتُمْ
وتبعتمْ دربَ ساداتٍ أضلّوكمْ سبيلا
وكثرتُمْ .. فكُسِرتمْ

بعد أن صرتمْ غُثاءَ
وهباءَ
ليت شعرى ..
كيفَ تعنُو جبهةُ المسلمِ للأرضِ
وقد كانتْ سماءَ ؟ »

(٧)

فاتركينى
إننى أخجلُ أن ألقى ــ معى عارى ــ محمدْ
لا تقولى لى جنينى
إننى أذهبُ
كى أنقذ آلافَ الأجنّةْ

(٨)

فإذا ما حان حَيْنى
ورويت الأرضَ
من دفْقاتِ دمِّى
جاعلاً قلبى وعظْمِى
تربةً للزهر فى أرضِ البطولَةْ
لا تُراعى ..
واذكرينى

واذكرى أنىَ قدْ صغت من العزِم نشيدًا
عاصفَ الألحانِ
جبارا عنيدًا
واذكرى قصةَ موتى
عندما يسأل عنى
« أينَ يا أمّىَ بابا » ؟
أذكرى لابنَى أنّى
قد تحررتُ من الطينِ المزيّفْ
وانطلقتُ
رافعَ الرأسِ
لكىْ ألقى محمدْ
ناصعَ الجبهةِ ريانَ الفؤادْ
يوم تبيضُّ من البشرى وجُوهْ
لا تقولى « ماتْ ــ يا ولدى ــ أبوكْ »
بل فقولى :
« إنّه اليومَ مخلّدْ ..
« إنه اليوم مع الهادى محمدْ »

(٩)

لا تقولى لى جنينى

إننى أذهبُ
كى أنقذَ آلاف الأجنَّة
فاسمَعِى لى .
أقولُ :
فَذَا مدفعى هاتِهِ
أحقِّقُ للمجدِ غاياتِهِ
وأرفعُ للحقِّ راياتِه
وأدركَ للدين ثاراتِه
وأتلُو مع النصر آياتِه .

إسلام آباد
فبراير ١٩٨٨

رحيل من غير وداع

«تِكْتَرَ طيفور» طالب تركى كان يتلقى العلم فى كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد فى باكستان حيث كنتُ أعمل (معارا من كلية الألسن بجامعة عين شمس فى مصر). وكان تلميذى «تكتر» حسن السمت، مشرق الوجه طويل الصمت. وكان كثير الانقطاع عن الدراسة، على الرغم من ذكائه الواضح.. وإقباله على القراءة والتحصيل، ولم يقدم لى سبباً واحداً وجيهاً لانقطاعاته المتعددة.

وفى أواخر ديسمبر سنة ١٩٨٧ تركت إسلام أباد لأداء العمرة وزيارة أبنائى فى القاهرة، وعدت إلى إسلام أباد بعد أسبوعين ليخبرنى الطلاب أن «تكتر طيفور» قد لاقى ربه شهيداً فى إحدى المعارك داخل أفغانستان.

واكتشفت أن انقطاعاته المتعددة عن محاضرات الجامعة ترجع إلى ذهابه لأداء واجب الجهاد فى عمق أفغانستان دون أن يعلن عن ذلك.

لقد حاول رحمه الله أن يجمع بين «الكتاب والمدفع» إلى أن نال «الشهادة الكبرى» التى صيغت بدمه الزكى، وكان اسمه الحركى «محمد طه». وقد ألقيت هذه القصيدة فى الاحتفال بذكراه فى مسكن الطلاب بإسلام آباد فى ١٩٨٨/٣/١١.

... وقرأتُ صحيفةَ أحوالِهْ

الإسْمُ: تكتَرْ طيفورُ

جنسيته تركى وافد

والعمرُ: يقاربُ عِشرينا

والعملُ: طالبُ علم فى الجامعة الإسلاميةْ

فى الفصلِ السابعِ

عاليةِ اللغةِ العربيةْ

والمسكنُ : بيتُ الطلاّبِ

• • •

وأداعِبهُ ..
وأنا أَرصُدُ
فى كشفِ الطلابِ الغائبَ والحاضِرْ
أ « تكنَرُ أنتَ » ؟
أم أنّك ـ يا ولدى ـ تدعى « تنْكَرْ » ؟
يبتسمُ ...
ويقولُ بخجلٍ عذْرىٍّ :
قُلها .. أستاذى ..
قلْ أىَّ الإسمينِ تشاءُ
فأقول :
« لا تلكَ ولا هذى ...
أدعوكَ ـ وهذا أحسنُ ـ « طيفور »
ولأصرفْ نظرى
عن « تنْكر » أو « تكنُورْ »

• • •

قد كانَ بسيطا .. وحيِّياً
صافِى اللمحاتِ

نقى السَّمْتْ

ويطيلُ الصمْتْ

ويعيشُ الصمْتْ

وكأنَّ نداء ًعَلْوياً يحدُوهُ

يدنيهِ إلى ..

يُناديه ...

من خلفِ الغيْبْ

«لا تبعدْ عنَّا

وتقرَّبْ منَّا ..

واتركْ هذى الأرْضَ

لطينِ الأرضْ

عَبَّادِ الأرْضْ

وتزودْ لرحيلٍ عُلْوىِّ المَسْرَى

قدسىِّ الومْضْ

عطرِىِّ الفَيْضْ

فالموعد حانْ ..

والموعدُ هذى المرةَ يا طيفورْ

جنةُ رضوانْ

وحواصلُ طيرٍ خضرٍ

تسبحُ فى ظلِّ العرشْ

عرشِ الرحمنْ ..

• • •

وأعودُ من القاهرِة لأسأل
أسأل طلابى ...
أسألَ عنه
لاذوا بالصمْت
فقرأت النبأ الفاجعَ
فى قاموسِ الصمتْ
فبكيت .. وبكيت ...
وبكيتُ بقلبِ
زلزلُه جبروتُ الموتْ ..
أمضيتْ ؟
أمضيتْ سريعاً يا ولدى .. ؟
ورحلتْ غريباً يا ولدى ؟
أكذا يا «تكْتُر» من غير وداعٍ ترحلْ ؟

• • •

لم تحضر أمُّكَ يا ولدى ...
مشهدَ رحلتِك الأبديهْ
تحملك الأيدى يا ولدى ..

جسدًا فضيا ..
وسريًا ...
كفَّنَتهُ الدم ..
هل مازالتْ أمَّكَ ـ يا ولدى ـ
تتهجد فى جوفِ الليل وتدعو
«باركْ يا ربى ولدى تكثرْ
وامنحه النعمةَ والصحةَ
ياذا الفضْلْ
واجعلهُ على قمة من ينجحُ
من طلاب الفضْلْ»
هل مازالت أمك ـ يا ولدى ـ
تحلمُ بالمستقبل مجْداً
للإبنِ الغائِب فى حبِّ العلْم ؟
وتباهى الجيرانَ ...
بقلبٍ تُرقصهُ الفرحةُ والشوقْ؟
ولدى سيعود قريباً
وشهادتُه الكبرى فى اللغةِ العربيةِ
لغة القرآنْ
من باكستانْ
تحملُهُ عند بناتِ الجيرانِ

فتى الأحلام ...
ولا الفرسانْ
لكنّى لن أختارَ عروساً لابنى «تكنزْ»
إلا من كانتْ ذاتَ جمال
يتفوّقُ بحقٍّ وشهادتَه الكبرى
فى اللغةِ العربية
لغة القرآنْ .. »

● ● ●

ومضيْتْ ..
بشهادتك الكبرى
يا طيفورُ ... مضيتْ ..
وشهادتك الكبرى
ــ هذى المرةَ يا ولدى ــ
فى ميدانٍ لا يعرفُ قلمًا
أو قرطاسْ
بل تُزْرى بشهاداتِ الناس
عباقرةِ الناسْ ..

● ● ●

وقرأتُ صحيفةَ أحوالِكْ

أعنى : وأعدتُ قراءتها ..
الإسم : تكنز طيفورْ
لا ...
استغفر ربى ...
الإسم : نورٌ وزهورْ
والجنسيةُ : ربانىٌّ مسلمْ
والعمرُ : خلودٌ ممدودُ
والعملُ : شهيدٌ موعودُ
والمسكنُ : جنةُ رضوانْ
وحواصلُ طيرٍ خضْرٍ
تسبحُ فى ظلِّ العرش
عرشِ الرحمنْ ..

عوْدَة مُصْعب بن عُمَيْر

• كان مصعب بن عمير بن هاشم بن عبدمناف من بيت غنى ومال، وقد هرع إلى الإسلام شابا، وتخلى عن كل هذا النعيم والمال والجاه وكان أول داعية لرسول الله ـ عليه السلام ـ فى المدينة قبل الهجرة. وحمل لواءه فى أحد، وفيها استشهد. وفى مارس سنة ١٩٨٨ كنت فى إسلام آباد، وعلمنا باستشهاد شاب من أثرياء السعوديين آثر أن يترك متاع الدنيا مجاهدا فى صفوف المجاهدين داخل أفغانستان. فكانت هذه القصيدة.

(١)

ويْحَ نفسِى .. !!
ماتَ ميلادى القديمْ
إننى فى حاجةٍ حَرَّى ..
لميلادٍ جديدْ
نابعٍ كالفجرِ من صُلْبِ الحقيقةْ
بنسيجٍ ثائرِ النبْضِ
لهيبِ العُنْفوانْ
ودماءٍ من مَضَاءْ
وضميرٍ منْ ضياءْ
وجبينٍ من إباءْ

(٢)

يا دنيا غُرِّى غيْرى

هل أنتِ إليَّ تعرضّتِ
أم أنت إليّ تشوقْتِ
هيهاتَ ــ أسلَّمُ ــ يا دنيا
يا دنيا ما أعظمَ خطرَكْ !!
يا دنيا ما أقصرَ عُمرَكْ !!
ما أهونَ زادَكِ يا دنيا !!
والدربُ طويلٌ وشريدْ
والسَّفرُ شقيٌّ وبعيدْ
والزادُ الحقُّ هو التقْوى
لا ما تهْوينَ
وما أهوى ..

(٣)

ما الذى قد غيَّرَكْ
فأخرجَكْ ؟
تتركُ المالَ
وظلَّ الروْضِ
والزوجةَ
والسهلَ الذهبْ ؟!!
تهجرُ السيارةَ المرْسيدسَ الفخمةَ
والعطرَ..

وأملاكاً عجبْ ؟!!
والشفاهَ اللُّمَى
والخدَّ الأسيلْ
والأغانى ..
والأمانى
وانتشاءاتِ الأصيلْ ؟!
ما الذى
يا أيها الإنسانُ .. قل لى :
غيَّرَكْ ؟!

● ● ●

دفترُ الشيكاتِ ...
فى الدُّرْج الشمالىِّ من المكتبِ
ما عادَ لهُ فى قلبِه
أىُّ حِسابْ
والرصيدُ الضخمُ فى البنكِ
هوى فى ناظريهِ ...
لم يعدْ يعدلُ حتى شِسْعَ نعْلِهْ
غيرُ صوتِ الحقِّ فى أعماقِهِ
أضحى خرابْ

أمُّ كلثومٍ
وفيروز
وسلمى
وعتابْ
كلُّ هذا طعمُهُ ملْحٌ
وتَثْعابُ غرابْ
وضياعٌ واغترابْ
وكئوسٌ من سَرَابْ

(٤)

من ذا الذى قدْ غيَّرَكْ
وأخرجَكْ
وحولكْ
من بلبلٍ عاشَ الوداعةَ
والسكينةَ
والرفاهةَ
والنَّعمْ
لكاسِرٍ
ضارى العزيمةِ
همُّهُ خوضُ المعاركِ

والفيالق

والخنادقِ

والضَّرَمْ ؟

سبحانَ منْ سوَّاكَ

ثم عدَّلَكْ

فى صورةٍ شمَّاءَ

شاء رَكَّبَكْ

يأيها الإنسانُ

ــ فى ساحاتِها ــ

ما أعجبَكْ ؟

(٥)

قد كان ثم صارْ

من جدةٍ

لغزَّةٍ

لقنْدِهارْ

حيثُ الجليدُ

والحديدُ

والزحوفُ

واللظى المُوارْ

حيثُ الجبالُ السودُ
والقفارْ
حيثُ الهزيمُ والدمارْ
وغربةٌ . . .
بعيدةُ المدى عن الديارْ
لكنه في زحفِهِ . . وعصْفِهِ
ـ رأيتهُ ـ
كمارجٍ من نارْ
سلاحُهُ الرشاشُ
واليقينُ
والنهارْ .
رأيتهُ
في زحفِه وعَصْفِهِ
لِلّيلِ والمدى وللصخورِ . .
منْ زحوفِهِ انبهارْ

(٦)

يا مصعبُ الجديدْ
يا عزمةً حديدْ
طوبى . .

فقد هويْتَ

فى مضمارِها شهيدْ .

طوبى

لكَ الخلودُ

فى مُقامِكَ السعيدْ

يا مصعبُ المجيدْ .

إسلام آباد

مارس ١٩٨٨

الشهيد عبد الله عزام
الفارس الذى صعد

كان أول لقائى بابن فلسطين الدكتور عبد الله عزام فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٨١ فى مدينة « سبرنج فيلد » بولاية ألينوى بالولايات المتحدة حيث عقد مؤتمر الشباب المسلم العربى، وكان شعار المؤتمر « القدوة الحسنة » ، وقد حضر الدكتور عزام ممثلا لمجاهدى أفغانستان فى المؤتمر. وكان لقاؤنا الثانى ولقاءاتنا التالية فى الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد ١٩٨٥ حيث كنا نعمل ، ثم ترك الجامعة سنة ١٩٨٧ وتفرغ تماماً لتحمل أعباء الجهاد الأفغانى. وبعد انتهاء إعارتى عدت إلى مصر فى يونيو ١٩٨٩ . وبعدها بأيام علمت أنه استشهد هو وابناه: محمد وإبراهيم بعبوة ناسفة فى مدينة بشاور الباكستانية قاعدة المجاهدين فى باكستان.

(١)

يا عبدَ اللهِ يا عزامْ

أنا أدعوكَ . . .

أناديكَ

فهل تسمعُنِى ؟

هل تسمعُ صوتِى

هل تسمعْ ؟

فى عالمك العُلْوىِّ الأرفعْ ؟

وأنا فى غربةِ روحى

فى وطنى

أتحسسُ طينى

فيدى العاتى
دنيا الناسِ الصماء الجوفاء
هل تسمعْ ؟
هل تذكرنى ؟
هل تذكرُ أول لُقيانا ؟
قد كان لقاء مشهودا .

(٢)

من عشرة من الأعوامِ قد عرفتهُ
خلفَ البحارِ فى مناطق الجليدْ
فى العالَمِ الجديدْ
فى بلدةٍ تدعى « سبرِنْج فيلْد »
كانَ اللقاءُ الأولُ
والأرضُ والأشجارُ بيضاءٌ من الجليدْ
والجوُّ فى برودةٍ تجمِّد البشَرْ
وتُرعِشُ الحديدَ والحجرْ
لكنّما
من كلِّ فجٍّ فى أميركا قادمونْ
المسلمونُ يزحفون
وبالألوفِ يزحفون

« فى بلدة الجليد مؤتمر.
شعاره :
بالقدوةِ المثلى نصلْ ..
وننتصرْ »
ويومَها ...
أحسستُ أن الدفء يَعمُرُ القلوبْ
ويغمرُ الإحساسَ بالربيع
والعبيرِ ... والأملْ
« لا إله إلا اللهْ
محمد رسول الله
عليها نحيا
وعليها نموت
وفى سبيلها نجاهدْ
وعليها تلقى اللهْ »
وعندها ترقرقتْ فى مقلتىَّ دمعةُ الفرح
رأيتُهمْ ...
وعشتُهمْ
رأيتُ حمزةً يمزِّقُ الصفوفْ
وخالدا بسيفِهِ
يوزِّعُ الحتوفْ

والفرسُ والرومانُ يفْزعونْ
قلوبُهُمْ تحاولُ الفرارَمن صدورِهمْ
ولاتَ حينها فرارْ.
وفى عيونِهم مذلةٌ يروعُها انكسارْ
سمعتُهُ ... وعشتُهُ .. بلالْ
يزلزلُ الحصونَ والجدرانْ
بعزةِ الإيمانِ فى حلاوةِ الأذانْ
ومصعبا يرتلُ القرآنْ
فتقشَعِرُّ منْ خشوعِها القلوبُ والأبدانْ
ويلتقى الزمانُ بالزمانْ
والدفء يُسرى من جديدْ
فى بلدةٍ تُدعى « سبرنجْ فِيلْد »
مدينةِ الجليدْ
إحدِى بلادِ الأمرِكانْ .
وفجْأةْ
سمعتُ صوتَهُ
مُدمْدِماً وهادِرًا
وبالضياءِ عامرًا
« عزامُ ... يا عزامُ .. قُلْ
فالحفلُ كلهُّ مَعَكْ

ومنصتٌ إليك .. لن يَمَلُّ »
ــ يا أمةَ الإيمانْ
قد جئتُكمْ .. فى جعبتى رسالهْ
من مسلمى الأفغانْ
من أمةٍ قد أقسمتْ
أن تسحقَ الكفرَ العتِىْ
أن تهتكَ الظلمَ الغوِىْ
أن تُطلعَ الفجرَ الندِىْ
فى دولةٍ دستورُها القرآنْ
زعيمُها النبىْ
سبيلها الجهادْ
والموتُ فى سبيل الله قمةُ الأملْ
وغايةُ النضالِ والزُّحوف والعملْ

(٣)

أما اللقا الثانى فكانَ فى إسلامَ بادْ
فى الجامعهْ ..
للعلمِ والأدبِ الرفيعْ
والفقهِ والقلب الربيعْ
كنا هناكْ .

ألقاه مبتسما فأبتسمُ
يُلقى التحيةَ والسلامْ
ويُغذ نحوَ الفصلِ سيرَهْ

(٤)

ثم اختفى فسألت عنه
فقيل :
ـ لا تبحثْ هنا ، وأبحثْ هناكْ
ـ وما هناكْ ؟
ـ حيثُ المدافعُ والخنادقُ والصخورْ
حيث الكفاحَ المرُّ يحكى ملحمَهْ
كُتبتْ بماء القلبِ والأعصابِ
والأشلاءِ والعزمِ السعيرْ
فهناكَ خالدُها
وسعدٌ
والمثنّى
والكتيبةُ
والنذيرْ
يتقدمون بفتيةِ الأفغانِ
فى زحفٍ خطيرْ
و « عقّابُ » سيدنا رسولِ اللهِ

فوقهُمُ ترفرف كالمديرْ
ليحققوا النصر الكبيرْ
أو موتةٌ تزهو على الأكوان
« أنعِمْ بالمصيرْ»
«عزام» فى هذِى الكتيبةِ فى بشاورْ
أو عند «غزنةَ» أو «هراتٌ» و «قندهارْ»
ليلاً هُنا ، وهناكَ فى ألَق النهارْ

(٥)

وقرأت فى صحف الدعارة
والخيانةِ و « الدلارْ»
« القدسُ مسرى المصطفى
عزامُ يتركها يمزِّقُها و يحرقها اليهودْ
كيما يقاتلَ ها هنا
لم لا يجالدهمْ هناك ؟
عزام .. يا عربى
فلتجعل جهادَك للعرب »
و يجىء يا «عزام» ردُّك صاعقا
« أنا من هنا ...
وأنا كذلك من هناكْ ...

أبى الإسلام لا أبا لى سواهُ
إذا افتخرُوا بقيسٍ أو تميمِ
جنسيتى الدينُ الحنيفْ
قوميتى الدينُ الحنيفْ
وولاؤنا لاثنينِ لا يتزعزعُ
لإلهنا ورسولِنا
والحقُّ فى أعماقنا يتربعُ
والأرضُ أنّى ما تكون
هى أرضُ كلِّ المسلمينْ
ما دام يسكنُها مُوَحّدْ
القدسُ مثلُ «جلالِ بادَ» و«كابلٍ» .
ودمشقُ أو بغدادُ واليمنُ السعيدْ
كقندهارْ
والمسلم الحرُّ الأبىْ
إما يرى الأهواءَ بالقاداتِ تلعبْ
والشهرةَ الجوفاءَ فى ساحاتها
أملاً ومطمعْ
راياتهُم عميةٌ
ورياحهم شرقيةٌ غربيةٌ ..
فى هذه الحال التى تُندى الجبينْ

المسلمُ الحرّ الأبىْ

لا يطمئنُ لغيرِ راياتِ النبىْ » .

(٦)

سألتهمْ . . .

القادمينَ من هناكَ من بشاور

عن فارسٍ .. عرفتُهُ .. صحبتَهُ

فما غدرْ ..

عاشَ الحياةَ قمةً تلامسُ القمرْ

فما انحنى .. وما انكسرْ

بل كان دائماً

فى رحلةِ العناء ينتصر

كأنما من طينةٍ قد صيغَ

غيرِ طينةِ البشر

فعالِماً عرفتُهُ

يقينُهُ بالله والكتابِ والرسولِ

والقضاءِ والقدرْ

كموجةِ العبيرِ فى نقاوةِ المطرْ

أما الرضاء بالهوانِ عندهُ

فسقطةٌ لا تغتفرْ.

وفارسًا عرفتُهُ

إذا عزمْ ..
فقد هجمْ
وإنْ هجمْ
فقد قصَمْ
كأنما النصر الأبىُّ
فى حياتِهِ قسَمْ
وكان بينَه وبينَ شرعةِ الجهادِ
مثلما قرابةِ الرحمْ
ففى الجهادِ كِلْمتُهْ
وللجهادِ عزمتُهْ
وللجهاد غضبتُهْ
وللجهاد ثورتُهْ
وللجهاد غُربتُهْ
وللجهاد نومتُهْ
وللجهادِ يقْظَتهْ .
سألتُهُمْ ...
القادمين من بشاورَ:
وكيف ماتْ .. ؟!
فبعضهم أجابنى
« كَبَا بِهِ الجوادُ فى غَيابةِ الغبارِ

فانكسرْ...
فحاولَ امتشاقَ سيفِهِ
مكبّراً ... وراجلاً ...
لكنهُ القدرْ
فقبض الحسامِ فى يمينه انكسرْ
وكَفهُ كانت تجودُ بالدماءِ كالمطرْ
فقرَّ فى مكانِهِ
ولم يفرْ
وصاح صيحةً كأنها البركانُ
والزلزالُ والنذُرْ
«لن أنقهرْ...
لن أنقهرْ...»
ومدَّ كفَّه العصماءَ لابنِهِ محمدٍ
وبعدها ماذا حَدَثْ؟
لا أعرفُ ..
فذاك غيبٌ لم أرهْ ..
لكننى وجدتُ فى مكانِهِ
حيثُ انفجرْ...
بُقَعًا منَ الدماءِ
والمضاءِ

والإباءِ
والضياءِ
تبتسمْ

(٧)

لكنَّ واحدًا يقول غيرَما سمعتُهُ :
« رأيتُهُ فى ليلةِ الضبابِ
وهو يَبْحرُ . . .
ويضرب الجداف فى اللُجَّىْ
لا ينى . . لا يفترُ
والموجُ فوقَ الموجِ
مظلمُ الأحشاءِ
ظالمٌ . . مدمرُ
لكنّهُ ــ رأيتُهُ ــ
يعاندُ الرياحَ والتيارَ
والصخورَ والدُّجَى
يَمْضى . . .
ويضربُ الجداف فى اللُجّىْ
بعزمه الصخرىْ
ناديتُهُ فى فزعةٍ ملتاعةٍ

جريمةِ الصدى
والظلمةُ العصوف تستبدُّ
والموتُ فى أحشائِها
معربداً يمتدُّ . . .
«عزامُ . . يا عزامُ . .
كيفَ تعاندُ ؟!
لا تبحرنَّ ضدَّهُ . . .
فإنهُ معربدٌ . . وفاجرُ
أوْ دعْهُما : محمدًا و إبراهيمَ
فى الضفافِ
للحياةِ والشباب والأملْ »
لكنهُ بابنيهِ قد أصر أن يمرْ
وساخِرا . .
من الضبابِ والظلامِ والتيارِ . . مَرْ
سمعتُهُ مهللا مكبّرًا . . .
من خلفِ جدرانِ الضبابِ القاتمِ
« اللهُ أكبرُ . . .
قد وصلْنا . . .
لا تُرَعْ
لا تركَنَنَّ للهمومِ . . والفَزَعْ »

وفجأةً ... صمَتْ ... صَمَتْ ..
ناديتُهُ .. فما سَمِعْ
وما سمعْتْ .
لكنني ..
علمتُ أن صخرةً سوداءَ
كالظلامِ .. خائنهْ
قد حطمَتْ سفينتَهْ
ومزقتْ شراعَهُ
وبعثرتْ دماءهُ
فأعجزت دفاعَهُ
وبعدَها ...
رأوا هناكَ فى الظلامِ
فى مكانِهِ حيثُ انفجرْ
بقَعا من الدماءِ
والمضاءِ
والإباءِ
والضياءِ
تبتسمْ

(٨)

أما أنا

فإننى رأيتُهُ
نحو السماء صاعدًا وراقيًا
حاولتُ أن ألاحقَهْ
وأدركَهْ
لم أستطعْ
فقد دهانيَ اللهاثُ
والإعياءُ والوهَنْ
ألستُ فى غيابةِ العبيدِ مرتهنْ
تشدّنى للقاع والضياع طينتى
مجنونةٌ عطشى لظلٍّ زائلٍ
فى دنْيتى .. ؟
لذاك تاهتْ صيحتى ...
رأيتُهُ
وفى يمينِهِ عزيزُه محمدٌ
وفى يساره الحبيبُ إبراهيمْ
وصوتهم تكبيرةٌ علويةٌ
« الله أكبرُ يا صحابْ ..
جئنا لها ...
فزْنا بها .. »
ناديتُهُ :

«مهلاً .. أبا محمدٍ ..

خذني معَكْ .. »

لكنه فى سرعةِ الضياء

راحَ وانطلقْ

مجاوزاً نهرَ المجرةِ والفَلَكْ

لسُدَّة علويةٍ

أرقى من الأقطارِ والسماءِ

لا تحدها مشاعرٌ ولا بصرْ

وخلفَهُ

رأيتُ شلاَّلا من الدمِ الزكىِّ

والمضاءِ

والإباءِ

والعلاءِ

والضياءِ..

يبتسمْ ..

القاهرة

يوليو ١٩٨٩

نداء عاجل
إلى قَادَةِ الجهادِ الأفْغَانِى

هـذَا النّداء نُسجْتـهُ من مُقْلتى وكـتـبـتُـهُ بـالـرُّوحِ والوجْدانِ

وروَيْتَهُ منْ ماءِ قلبٍ مُخلصٍ.. مـتـعـطـر... بـالـرّوْحِ والـريحانِ

ورفعتُهُ منْ بُقْعةٍ فيها التُّقَى والـكـعـبـةُ الـغراءُ والحَرَمانِ

وأمَـدُّ رُوحـى نحـوكـمْ بحـروفِهِ فى لهْفةِ الـمُشْتَاقِ والوَلْهانِ

... لـكـنّهُ أصداءُ قلـبٍ حائرٍ بـيـنَ الـرجاءِ وسَطْوةِ الأحزانِ

• • •

يـا قـادةَ الأفـغـانِ هـاكُمْ صرختى يا «يونسٌ» يا «شاهُ» يا «ربانى»

يـا إخوتى «سيافَ» يا «ابنَ محمدِى» يا «حِكْمتانُ» وأنتَ يا «جيلانى»

يـا «صبغةَ اللهِ» استفيقُوا واسْمعوا نـبْـضَ الـشـعـوبِ بـأمةِ الـقـرآنِ:

إيـاكُـمُ والـخُـلْفَ بين صفوفِكمْ فـتـذوبَ ريحُكُمُ كـعصـفٍ وانِ

كـنـتُـمْ أمامَ عـدوّكُمْ أسْطورةً يـشْدُوا بها فى الكونِ كلُّ لِسانِ

فلْـتـقْـهـروا النفسَ التى قد تَنْحنى وتـمـيـلُ لـلـبـغْـضـاءِ والـشّنَآنِ

حـربُ الجيوشِ سبيلُها معروفةٌ لـكـنّ أخطرَها هوى الإنسانِ

فـإذا تـنـازعَهُ الهوى ومفاتِنُ الـ ـدنْيا غدا من فِرقةِ الـشيطانِ

فلْتذْكُروا.. ولْتكْرمُوا شهداءَكُمْ بـالحبِّ والإخلاصِ والإحسانِ

بذلُوا دماهُمْ عن رضىً وعقيدةٍ للـهِ والـضـعـفـاء والـولْـدانِ
هتفُوا «الجهادُ سبيلُنا» وتقدمُوا مـا انـتـابَهم فزعٌ من النيـرانِ
فزعٌ ؟! وأنّى يفزعون وهُمْ لَها : بـأسٌ وعـزمٌ قُـدّ مـن صوّان
صدقوا مع اللهِ العهودَ وجاهدوا فـإذا هُمُ فى الحربِ موتٌ ثانِ

• • •

فتوحّدُوا يا قادةً.. كمحمدٍ.. وصـحـابـهِ فى بيعةِ الرضْوانِ
حـتـى يُـتمَّ اللهُ نِعْمةَ نـصرهِ ويُـحِـلَّ لعنَتَهُ على العُدْوان
فالمسلمون ـ كما يقولُ نبيُّنا : لن يَسْلَمُوا من محنةِ الخُسْرانِ
إلا إذا وقـفـوا بـوجـهِ عـدوهـمْ صَـفًا تلاحُمُهُ كَمَا البُنْيان
وبنَوا علائقهم على صفْوِ التُّقَى فـى وحـدةٍ كالجسم للإنسان
إذْ مَا تـشَكّى منهُ عضوٌ واحدٌ سهرَتْ له الأعضاءُ فى الجُسْمان
هذا كتابُ اللهِ فاعتصمُوا به هـو حبلُ ربّىَ خالقِ الأكْوانِ
ومن استعانَ بغيرهِ فقد الخطى فـى درب ذلٍّ خـانـعٍ خَسْـرانِ
أيـوحّـدُ الإلحـادُ صفَّ عدوّكمْ عجبًا !! وتفْـترقون بالإيمانِ ؟!
من بعدِ أنْ كنتمْ كياناً رائعا ذا وَحـدةٍ صـخـريـةِ الأركـانِ
يـا قـادة الأفـغـانِ إنَّ عـدوكمْ ـ ورصيـده كـنـزٌ من البهتانِ
ووراءهُ دولٌ تـدعّـمُ بَـغْـيَـهُ بـالمكرِ والإغراءِ والسلطان ـ
يُغْرون شعبكمُ الجريحَ المبتلَى بالسِّلْم والعيشِ السّعيدِ الهانى
وكـذاك «بعضَكُمُ» بحلمٍ زائفٍ فى الحكم باسم الحقّ والميزانِ

فلتحذَرُوا أن يُرجعُوا ذاكَ الذى حَكمَ البلادَ بِشِرعة الشعبانِ
نعُمَتْ ملامسُه وسُمٌّ نيوبِهِ تُرْدِى فريستَهُ خلالَ ثوانِ
هو «ظاهر» فى الأبُهاتِ و «باطنٌ» عند انتهاب «الدبِّ» للبستانِ
إنْ عادَ يملكُ فالضياعُ مصيركمْ ومصير شعبِكُمُ الجريح العانى
وأضعتُمُ ثمرَ الجهادِ وصرتُمُ طُعْما لجيشِ الكفْرِ والعصيانِ

• • •

ولتحذرُوا خُدعَ السلامِ وَبرْقَهُ منْ بعدِ مَا لاَحَ انتصارٌ دانِ
لا تسمعُوا لنداء من يدعونكمْ باسم الفقيرِ الجائع العطشانِ
«ألقُوا السلاحَ لتدخلوا بخيارِكم فى السِّلْم بعد نذيرنا العُريانِ
من أجلِ من قد شُرِّدوا بمتاهةٍ عند الحدودِ هناكَ كالعُبْدانِ
من أجلِ حقْنِ الباقياتِ من الدِمَا فلقدْ قضَى فى الحربِ مليونانِ»
قولوا لهم «مَنْ قدْ أراقَ دِماءهمْ ؟ عجبًا !! أيبكى للضحيةِ جَانِ»
قولوا لهم من أدْخَل الروسَ الكلاَ بَ لأرضِنا بالغدرِ والإذْعانِ
كى يضمنوا الكُرسىَّ تحتَهُمُ وفى كرسيِّهمْ ذكرى أسًى وهوانِ ؟
والمسلم الحقّ الأشمُّ جبينُهُ يعلو على الأهواءِ والسُّلطانِ
فالجاهُ والسلطانُ فى منظورِهِ عَرَضٌ حقيرٌ أو غُثاءٌ فانِ
وجهادُهُ للحقّ حتى لو قضَى أوْ عاشَ طول العمرِ فى حِرْمانِ»

• • •

قولُوا لهم «إنَّ الجهادَ سبيلُنا حتى نحقّقَ دولةَ القرآنِ

دستورُها آيُ الكتابِ وسنَّةٌ نبويةٌ تسمُو على الأزْمانِ
وتعيشَ أمتُنا حياةً حرةً في عزةٍ وكرامةٍ وأمانِ
ويعانقَ المحرابُ أنْوارَ الضّحى والفجرِ والأنفالِ والرحمنِ
والمرسلاتِ ويوسفٍ ومحمدٍ والنورِ والفرقانِ والإنسانِ

الظهران: أكتوبر ١٩٩١

كتب للمؤلف :

١ ــ منهج العقاد فى التراجم الأدبية .
٢ ــ أدب الخلفاء الراشدين .
٣ ــ أدب الرسائل فى صدر الإسلام .
٤ ــ التقليدية والدرامية فى مقامات الحريرى .
٥ ــ صوت الإسلام فى شعر حافظ إبراهيم .
٦ ــ التراث الإنسانى فى شعر أمل دنقل .
٧ ــ فن التشخيص فى مطولة الساحر العظيم للحسن العواد .
٨ ــ الشاعر الفلسطينى الشهيد عبدالرحيم محمود أو : ملحمة الكلمة والدم .
٩ ــ فى صحبة المصطفى .
١٠ ــ المدخل إلى القيم الإسلامية .
١١ ــ المعارضة فى الإسلام بين النظرية والتطبيق .
١٢ ــ آثار التبشير والاستشراق على الشباب المسلم .

● العنوان : الظهران ــ جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران ٣١٢٦١
ص . ب : ١٦٤٠

رقم الإيداع : ٢٣٧٥ / ١٩٩٢
الترقيم الدولى : ٤ ــ ٢٦٢٠ ــ ٠٠ ــ ٩٧٧ .